وإذا احتجّ بعض اللغويين بأنّ التأنيث والتذكير دون مميز لغة بعض العرب، وأن التمييز بين المذكر والمؤنّث بمميز لغة بعضهم الآخر، فإنّ من حقّ اللغة على أبنائها أن يأخذوا بالاقيس، والأيسر، والأقرب إلى الفطرة والكمال... ومنهج التطور... منهج الحياة.

أما الأسماء التي وجدناها متصلة بمميز التأنيث، وتدلّ على المذكر والمؤنث، كقولهم: بقرة، وجرادة.. الخ.. فإنّ العربيّ لم يلبث أن أسقط المميز منها، عندما أراد الذكر دون الأنثى، في فترة ما من تاريخ تطوّره ورقيه، فقال: بقرة (للأنثى)، وبقر (للذكر)، أي أن الذهن العربي قد أسقط مميز التأنيث عندما أراد الذّكر دون الأنثى، وفي ذلك رحلة للغة من التأنيث إلى التذكير، وهي عكس الرحلة السابقة المتجهة من التذكير إلى التأنيث.

وأما الأسماء التي يكون لفظ مؤنثها مخالفاً للفظ مذكرها؛ أي الاسم الذي صيغ للتأنيث دون التذكير، وتلك المختصة بالمذكر دون المؤنث، كقولهم: رجل وامرأة، غلام وجارية، شيخ وعجوز، ... فإنّ اللغة لم تلبث أن فرضت عليها مميّز التأنيث، لتفرّق بين المذكر والمؤنث، فقالت: رجل ورجلة، غلام وغلامة، شيخ وشيخة، عجوز وعجوزة.. الخ.

وخلاصة القول أنّ اللغة العربية قد أخذت بمميّز التأنيث «التاء» لتدلّ به على المؤنث، ولكنها سلكت في ذلك سبيلين